مقال مراجعة موضوع
ظاهرة التنغيم عند علماء العربية
قراءة في كتاب علم الأصوات للدكتور كمال بشر

م. د. محمد مناضل عباس

mmm49517@gmail.com

جامعة بابل- كلية الآداب

الملخص:-

يسعى هذا المقال لأن يوضّح مفهوم التنغيم عند علماء العربية – قدماء ومحدثين- وبيان أهميته في السياقات الكلامية، وأهم وظائفه التحليلية في عملية الاتصال الاجتماعي بين المتكلمين، بوصفه عنصرا صوتيًّا له أثر في بيان معنى المتكلم؛ لإيصال رسالته الكلامية إلى السامع، ويعطي تنوعًا موسيقيًّا يغبر عن الحالة النفسية للمتكلم.

الكلمات المفتاحية التنغيم، علم الأصوات، كمال بشر.

Review article
The phenomenon of altanghim among Arabic scholars A reading of the book "Phonology" by Dr. Kamal Bishr

Dr Mohammed Munadhil Abbas.
University of Babylon / College of Arts

Abstract:-

This article focuses on explaining the concept of intonation among Arabic scholars, both ancient and modern, and its importance in speech contexts. It also highlights its most important analytical functions in the process of social communication between speakers, as it is a vocal element that has an impact on the speaker's meaning, conveying his verbal message to the listener. It also provides musical diversity that reflects the speaker's psychological state.

Keywords: : Intonation, phonetics, Kamal Bashar.

بسم الله الرحمن الرحيم

يعد التنغيم ظاهرة صوتية قديمة ظهرت أصولها عند علماء اللغة العربية القدامى، وبيّنوا أهميتها في السياقات التنظيمية للمتكلم. وللتنغيم وظائف تحليلية في عملية الاتصال الاجتماعي، وتنوعت الاصطلاحات الخاصة بالتنغيم، فمنهم من أطلق عليه مصطلح (النغم)، ومنهم من وسمه بـ(التنغيم)، ومنهم من حدّه بـ (موسيقى الكلام)، والمراد به تلحين الكلام. (الأصوات اللغوية: د. عبد القادر، ٢٥٥).

فقد بيّن الفارابي التنغيم بأنّه مجموعة أصوات تتباين في حدتها وثقلها. (الموسيقى الكبير،الفارابي،١٠٩). وذكر ابن جني أنّ لعلم الأصوات تعلقًا ومشاركة موسيقية لما يتضمنه من صناعة الأصوات والنغمات (سر صناعة الإعراب، ابن جني، ٢٢/١).

وعرّفه المحدثون بأنّه تغيير في مستوى الكلمات ارتفاعًا أو انخفاضًا، مراعاة لدلالة النص المنطوق، فتتغير الدلالة الأسلوبية دون تغيير الدلالة المعجمية. وهذا التغيير يعطي الكلام روحًا ويكسبه معنًى يدل على حال المتكلم، إذ إنّ جملة واحدة يتغير معناها نتيجة تغيّر صور نطقها، وكيفية التنويع في موسيقاها، فقد تعني تقريرًا، أو تأكيدًا، أو تعجبًا، أو استفهامًا، أو نفيًا، أو غضبًا، أو زجرًا، أو قبولًا أو عدم رضا، أو فرحًا، أو حزنًا، وغير ذلك، ويمكن توظيف تلك المعاني في عبارة (يا إلهي). (علم الأصوات، كمال بشر، ٥٣٣).

وذكر الدكتور كمال بشر أنّ للتنغيم نغمتين رئيستين بالنسبة إلى نهاياتهما فقط، أمّا إطارهما الداخلي فينتظم عددًا من التنويعات الجزئية الكثيرة، وهاتان النغمتان هما:

١- **نغمة منخفضة (هابطة):** هي التي تكون منخفضة في نهايتها على الرغم ممّا فيها من تغييرات جزئية داخلية، ومن أمثلة ذلك:

- **الجملة التقريرية:** هي جملة تامة من جهة المعنى، غير متعلقة، نحو: زيد في الدار.
- **الجملة الاستفهامية:** حددها بالأدوات الخاصة بالاستفهام، نحو: (أين، مَن، متى، كيف) فتقول: أين زيد؟
- **الجملة الطلبية:** تحتوي على فعل أمر ، كقولك: اخرج من هنا.

٢- **نغمة مرتفعة (صاعدة):** هي التي تكون مرتفعة في نهايتها، على الرغم من تغيّر جزئياتها الداخلية، ومن أمثلتها:

- **الجملة الاستفهامية:** تكون إجابتها بـ(معم) أو (لا) نحو: زيد ناجح؟
- **الجملة المعلّقة:** يقصد بها الكلام غير التام؛ لارتباطه بما بعده، ويظهر ذلك بوجه خاص في الجزء الأول من الجملة الشرطية، نحو: إذا زرتني، أكرمتك، فالجزء الأول كلام معلّق (لم يتم معناه) وهنا تتضح النغمة الصاعدة. (علم الأصوات، كمال بشر، ٤٣٧-٥٣٤).

وللتنغيم وظائف في التحليل اللغوي، وفي عملية الاتصال الاجتماعي بين المتكلمين، منها:

١- **وظيفة نحوية:** تميّز هذه الوظيفة بين أنماط التركيب وتضع الجمل بحسب أنماطها (تقريرية- استفهامية- تعجبية- طلبية ...)

٢- **وظيفة دلالية سياقية:** تنبئ عن حالات معينة، كالرضا، أو القبول، أو الزجر، أو التهكم بين أفراد المجتمع.

وقد ذكر ابن جني هذه الوظيفة بقوله: " تُحذف الصفة وتدل عليها حال الكلام" مبيّنًا أنّه إذا أراد شخص ما أن يمدح شخصًا آخر فيقول: سألته فوجدته إنسانًا، فإذا مكّن الصوت بلفظة (إنسان) ومطه وأطاله فهذا يغني عن أن يصفه بقوله: (إنسانًا طيّبًا خلوقًا جوادًا)، وإذا قال: سألته وكان إنسانًا وزوى وجهه وقطّبه، فيدل ذلك على أنّه (إنسان لئيم أو بخيل) (الخصائص، ابن جني، ٥٥١).

٣-**وظيفة اجتماعية:** تركّز هذه الوظيفة على الطبقة الاجتماعية والثقافية لفئات المجتمع.

٤- **وظيفة معجمية:** تُعرَف بها المعاني التي تؤديها الكلمة المفردة في لغة واحدة، فالكلمة (MA) في اللغة الصينية، تعني (الأم) حين ننطقها بنغمة ذات مستوى واحد، وتعني (الحصان) حين ننطقها بنغمة مرتفعة في جزئها الأول، ومنخفضة في جزئها الأخير. (دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، ١٥٥-١٥٦).

وتنبغي الإشارة إلى أنّ التنغيم لا يُكتشف دوره في التحليل اللغوي إلّا إذا ارتبط بظاهرة صوتية ثانية وهي الفواصل الصوتية.

الفاصلة الصوتية

يعدّ هذا المصطلح مصطلحًا حديثًا، وسِمت به مجموعة ظواهر صوتية تصنع تغييرًا موسيقيًّا يختصّ بالكلام المنطوق، ويرسم طبيعة تركيبه، ودلالاته، ومن هذه الفواصل:

- **الوقفة:** لا تتحقق إلى عند تمام الكلام في مبناه ومعناه.

□ **السكتة:** هي تغيير مسير النطق وفاقًا لتغيير النغمات، إيذانًا بأنّ الكلام السابق مرتبط ارتباطاً قويًا بالكلام اللاحق، ومنه قوله تعالى (قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) الآية ٥٢ من سورة يس.

□ **الاستراحة:** هي فرصة لمجرد أخذ النفس، ويعمل بها للإمعان في التلحين وتلوين الصوت وكسب انتباه السامع. (علم الأصوات، كمال بشر، ٥٥٣).

والأداء الصحيح لهذه الفواصل يرتبط ارتباطا وثيقًا بأحد عنصري الاتصال اللّغوي:

□ قواعد اللغة (التركيب).

□ المعنى الذي يُفصح عن التركيب.

ومثال ذلك قوله تعالى (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) الآية ٢ من سورة البقرة، فلا يجوز الوقف بين اسم الإشارة وبدله على قراءة من جعل (الكتاب) بدلًا، والخبر جملة (لا ريب فيه) إذ ينتهي التركيب كله بوقفه، دليلًا على إتمام الكلام، أمّا إذا كان (الكتاب) خبراً لاسم الإشارة فقد تحدث وقفة للدلالة على أهمية الخبر وتفرده بمضمونه.

الخلاصة:

يتضح ممّا تقدَّم أنَّ لعلماء العربية القدماء أثرًا كبيرًا في بيان دلالة التنغيم، على الرغم من بداءة أدواتهم الصوتية، واعتمادهم على النطق الصوتي، فإنهم تمكنوا من الوصول إلى ما أثبته المحدثون بأدواتهم الصوتية الحديثة، وقد تابع المحدثون منهج علماء العربية، فضلا عن الإضافات الحديثة استنادًا إلى تطور العلم الحديث عن العلم آنذاك، فنرى فكرة يسيرة، أو مصطلح وحيد من مجموعة كلمات، قد تحول إلى تحليل صوتي، وبيان تفريعاته، وماهيته، ودلالته، وبيان جزئياته التي لم يتمكن القدماء من تسليط الضوء عليها.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١- الأصوات اللغوية: أ. د. عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء – عمان، ط٢، ٢٠١٤م.

٢- دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم: د. خالد قاسم بنو دومي ، علم الكتب الحديث، ط١، ٢٠٠٦م.

٣- سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (٣٩٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٤- علم الأصوات، د. كمال بشر، دار غريب- القاهرة، ٢٠٠٠م.

٥- الموسيقى الكبير : أبو نصر محمد بن طرخان الفارابي(٥٣٥٠)، تح: غطاسة عبد الملك ، د.ط، خشبة- القاهرة، د.ت .